شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات

د.قوراري سليمان

جامعة أدرار

الملخص:

يتناول هذا المقال شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات التي تلقّت أعماله الشعرية والنثرية، حيث يعد علما من أعلام العروبة والإسلام والجزائر والإنسانية قاطبة، فهو شخصية متعددة المواهب، فهو رجل التسامح الكبير، ورجل الحوار بين الأديان، والانفتاح على مختلف الثقافات، ودوره الكبير والفعال في إطفاء الفتنة الطائفية ببلاد الشام متواتر عند أهل السير والتراجم، وأخباره في الشجاعة والبطولة والسماحة والجود والكرم والحلم والعلم، لا يمكن استقصاؤها كتابة، بالإضافة إلى كونه الرجل الذي جمع بين إمارتي السيف والقلم، وهو قطب من أقطاب الصوفية العظام الذين تأثروا بمحي الدين بن عربي، فأعادوا قراءته، وقدموا النظرات الصوفية العميقة شعرا ونثرا . هذا الأمير الجليل الذي ولد ببلدة القيطنة القريبة من ولاية معسكر حاليا عام 1808 والمتوفى عام 1883 بدمشق السورية، يعد مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، والواضع لأسسها القوية المتينة، وهو المرسي لقواعد القانون الدولي الإنساني، كما اشار إلى ذلك فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، وسيرته العطرة في ميدان السلم والحرب خير دليل على ذلك.

Résume:

L'Emir Abdelkader, est un homme de tolérance , politique et chef militaire algérien, écrivain- poète , philosophe et soufi, il naquit en 1808 à El Guettana (wilaya de Mascara) et décéda le 26 mai 1883 à Damas (Syrie), Emir Abdelkader fut le précurseur de l'Etat algérien moderne. Cet illustre homme d'Etat, était aussi un humaniste respecté. Il avait participé, à côté d'autres grandes personnalités de ce monde, à poser les premiers jalons du droit international humanitaire. Il fut

également parmi les précurseurs du dialogue entre les religions. Le président Abdelaziz Bouteflika avait rappelé que l'Emir Abdelkader est le premier fondateur de l'Etat algérien moderne.

مقدمة:

تحاول هذه الدراسة المساهمة في تسليط بعض الأضواء الكاشفة عن شخصية الأمير عبد القادر الجزائري (1223.1300هـ/1808.1883م)، من خلال بعض المؤلفات التي أنجزها باحثون قدامى ومحدثين لمختلف مراحله العمرية وهي المؤلفات التي أسهمت بشكل كبير في الكشف عن جوانب مهمة من شخصية الأمير عبد القادر العسكرية والدينية والثقافية والاجتماعية ... مثل سعيه للعمل من أجل التعايش بين الحضارات، ومبادئه السامية، في الدفاع عن الحق والعدل، وأخلاق التسامح، والإشكالية التي تنطلق منها الدراسة تتأسس على السؤال التالي، ما هي مظاهر شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال بعض مؤلفاته وما هي أهم الدلائل المستفادة من سيرة الأمير العطرة ؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية سنعتمد خطة تقوم على المحورين التاليين :أولا : شخصية الأمير عبد القادر .ثانيا : تجليات شخصية الأمير عبد القادر الجزائري . ثم الخاتمة التي سنجمل فيها أهم الدلائل والنتائج المستخلصة، ولعل من أهم ما تستعرضه الدراسة ؛ شخصية الأمير عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد، حيث ينتهي نسبه إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وهو من ناحية أخرى شخصية بطولية وعلمية وسياسية محنكة، وعسكرية حكيمة، بالإضافة إلى كونه شخصية صوفية من الطراز الرفيع ... وحول تجليات إسهامات الأمير في التعايش بين الحضارات، كما تستعرض الدراسة عمله المبرور المسطور في كتب التاريخ والموسوعات والمعاجم،والمتمثل في حيلولته لاشتعال الفتنة الطائفية في بلاد الشام والتي امتد لهيبها من لبنان عام 1277هـ/1860م ... حيث سخّر نفسه وذويه وأتباعه ورجاله لأجل إنقاذ آلاف

المسيحيين من الموت المحتوم، وقدّم أعظم الدروس في التعايش بين الأديان، وحماية أهل الذمّة الذين أوصى بهم رسول الإسلام خيرا، وقد تركت هذه المواقف الإنسانية للأمير عبد القادر أثرها في دول العالم المحبة للتعايش بين الحضارات، وتجلى ذلك في رسائل التقدير التي وصلت الأمير آنذاك، ولا تزال شخصية الأمير تصنع فعلها الحضاري إلى يوم الناس هذا ولله الحمد . ولتقديم صورة متكاملة عن هذه الإسهامات الحضارية للأمير ستستعين الدراسة بمجموعة من المصادر والمراجع المهمة التي تخدم المحاور الأساسية للموضوع.

أولا : في رحاب شخصية الأمير عبد القادر الجزائري (1222– 1300هـ = 1807 – 1883م):

تناولت عديد المصادر والمراجع ترجمات متعددة لشخصية الأمير عبد القادر، من الولادة إلى الوفاة، وهذه الترجمات تختلف من ناحية الطول والقصر تبعا لمنهجية كل مترجم، وعدد المصادر المتوافرة لديه للشخصية المترجم لها، ونحن ههنا سنكتفي بإيراد ترجمة الأمير من الذي حاول أن يرصد فيه إنتاج الأمير الفكري والأدبي، حيث يقول : " الجزائري " (الأمير) عبد القادر " (1300 1222) (الامير) عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى معجم المطبوعات العربية والمعربة (2/ 692، 693) الحسيني الجزائري ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ولد الأمير في القيطنة وهي قرية اختطها جده في ايالة وهران من أعمال الجزائر وتربى في حجر والده إلى أن بلغ سن التمييز. فحفظ الكتاب العزيز وتلو بعض العلوم وكان والده كأسلافه من العلماء الاعلام الذين يرجع إليهم في مشكلات الاحكام.

ولما بلغ سن الأمير أربع عشرة سنة سار إلى وهران لاستكمال فنون العلوم، فجد في تحصيلها وطالع كتب الفلاسفة ودرس الفقه والحديث وعلم الهيئة والتاريخ، وفي سنة 1241 سافر مع والده برا إلى الحجاز على طريق مصر، وبعد أداء فريضة الحج قصدا المدينة المنورة ومنها توجها إلى دمشق صحبة

الركب الشامي ثم سافرا إلى بغداد ورجعا إلى الوطن بعد أن عرجا على دمشق والحجاز، وفي سنة 1248 بايعه أهل الجزائر وولوه القيام بأمر الدفاع عن البلاد وذلك بعد أن طلبوا مبايعة والده. فاعتذر عن قبولها.فلما ألحوا عليه أشار علبهم بمبايعة ولده لما رأى منه من الكفاة بما يتعلق بهذا لامر الجلل، فلما بايعوه اتخذ لقب الامير في رعيته."[1] . نظم الأمير شؤون بلده ونهض بأعباء الحكم على أحسن ما يكون القيام، و ضرب في أثناء حكمه " نقودا سماها " المحمدية " وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند. وكان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة عجيبة. وأخباره مع الفرنسيين في احتلالهم الجزائر، كثيرة، لا مجال هنا لاستقصائها." [2]

قام الأمير عبد القادر الجزائري بواجب إمارة المؤمنين، بالدفاع عن حوزة البلاد والدين، بموجب عقد البيعة المباركة التي تمّت تحت ظلال شجرة الدردارة المشهودة، حيث " قاد أقوى مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاده الجزائر، وكان عمره نحو العشرين عامًا عندما بويع سنة 1832م أميرًا للجهاد المسلح ضد الاحتلال، وقائدا لشعبه في معارك متعددة حتى عام 1848م.مؤسسا لإمارة إسلامية، ومنظما لجيشه على غرار الجيوش الأوروبية الحديثة آنذاك.

مرّ جهاد الأمير بفترة أولى امتدت من عام 1832م إلى عام 1839م. وفيها سيطر على تلمسان، واعترف له الفرنسيون بحكم غربي الجزائر

1- معجم المطبوعات العربية والمعربة : يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)الناشر: مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ - 1928 م، ص: 691، 692.

2- الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) . دار العلم للملايين.الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م. ج4، ص: 45، 46. وينظر : ترتيب الأعلام على الأعوام (الأعلام لخير الدين الزركلي) : رتبه وعلق عليه : زهير ظاظا . فهرس كتابي : الأعلام والترتيب : محمد نزالا تميم و هيثم نزار تميم . شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (دون تاريخ) م2، ص: 710 .

ما عدا مدن الساحل: وهران ومستغانم. ثم تجددت الحرب، وتجدد له النصر. فعقدت فرنسا معه معاهدة تفنا عام 1254هـ، 1838م، وتخلت له بموجبها عن حكم منطقة وهران، ولكن الفرنسيين نقضوها عام 1839م، عندما رأوا تنظيم جيشه. فبدأت بذلك المرحلة الثانية من الجهاد، عندما حشدت فرنسا تحت قيادة بوجو مائتي ألف جندي لمواجهة المجاهدين. وقد اتبع بوجو سياسة وحشية تدميرية، أثارت حتى بعض النواب الفرنسيين في المجلس الفرنسي. كان لابد أمام حرب الإبادة الفرنسية، وخذلان الأمير المراكشي له . من التفكير في إيقاف الحرب، فاستسلم عبد القادر "[1] .

وانطلاقا من العبارة الأخيرة فإن الأميرة (بديعة الحسني) ترفض بشدّة هذا المصطلح (الاستسلام) وتطالب الجهات الرسمية بحذفها من الكتب واستبدالها بعقد الاستئمان المؤصّل في التراث العربي الإسلامي، وتقدم الأميرة بديعة تصويرا واقعيا لحيثيات تلك اللحظات التاريخية التي غابت عن أذهان الذين كتبوا عن سيرة الأمير دون بيّنة ولا برهان ولا كتاب منير، وغابت عن أولئك الذين عميت بصائرهم فطفقوا يهرفون بما لا يعرفون ويتهمون الأمير في دينه ووطنيته، وهم لا يصلون إلى بذل مثقال ذرّة مما بذله أبسط جندي من جنود الأمير، تقول الأميرة بديعة : " لم تدم هذه الأحاديث بينهم أكثر من دقائق، وقف الطيب المختار، وسأل الأمير : " ماذا بعد وقف الحرب ؟"، أجاب الأمير :" الهجرة من البلاد، لأنني شخصيا مستحيل علي العيش ولو للحظة واحدة تحت راية ليست راية بلادي الإسلامية، وليست راية دولتي " . فوافق الجميع على وقف الحرب، ثم تساءلوا كيف السبيل إلى الهجرة والخروج من هذا المكان الذي

1- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (1419هـ (1999م) . الرياض، المملكة العربية السعودية . ط2 1419 هـ(1999م) . م8، ص: 325 . وقد لاحظت خطأ التاريخ الميلادي الذي ذكرته الموسوعة، حيث تقول :" فاستسلم عبد القادر 1291هـ 1874م" والصواب هو (1847م) . والأقرب أن الخطأ مطبعي فقط .

نحاصر فيه، أجاب بن علال، وكان من الفقهاء : " سنطرق باب الاستئمان الزمني"، قال الأمير : " نعم أيها الإخوة سنطرق هذا الباب، وهو باب معروف في الجهاد بالإسلام، والهجرة في ظروفنا هذه، أعتقد أنها أصبحت حقا علينا، وإن لم نطرق بابها نكون آثمين بحق أنفسنا، قال الله تعالى : {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً } (النساء 100/4)[1] ...

ثم تابع الأمير كلامه فقال : " سأرسل رسالة شفهية إلى الجنرال لامورسيير ممثل الدولة التي تحتل بلادنا ليخبرها باسمي بأنني أريد طريقا آمنا بقصد ترك البلاد والسفر إلى الإسكندرية أو عكا، فإن وافق فالخيرة فيما اختاره الله، وإن رفض نكون أمام الله لم نأل جهدا ونتحرك بما عندنا من قوة لفتح مضيق غربوس والاتجاه نحو الصحراء في حال انتصارنا . لاشك أنها ستكون مغامرة ولكن لا خيار لنا لأننا حيث ما توجهنا سوف نجد سدا من صدور إخوة لنا في الدين جندهم الأعداء ليتخذوا منهم حاجزا ودرعا لهم " [2] ويقول التاريخ أنه" بعد أيام من نزوله بقلعة طولون نقل إلى مدينة (بو) . ولم تمض عليه ستة أشهر فيها حتى نقلوه إلى سراية (أمبواز) التابعة لمقاطعة (أورليان) حيث قضى هناك أربع سنوات وستة أشهر .

ومما يذكر في هذا الصدد أن الأمير عرضت عليه فرنسا ـ بعد أن أخلفت الوعد ـ بواسطة (دوماس) أن يتخذ من فرنسا الوطن الأم له يسكن حيث يشاء في مقابل مساعدتها الحيوية ومنحها له أراضي، وأملاكا وأموالا، مع استرخاصها لكل من يريد الإقامة إلى جانبه والسكنى معه ومجاورته، من أصحابه وذويه . أتدري ماذا قال الأمير ؟ وبماذا أجاب ؟ إنه قال : " إني لا

---

[1]– تتمة الآية الكريمة : " وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100).

[2]– الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره (وما بدلوا تبديلا) : الأميرة بديعة الحسني الجزائري . ترجمة : د/ أبو القاسم سعد الله . دار الوعي .، رويبة، الجزائر . 2012م . ص: ص: 176، 177 .

أقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالديباج " . وأعظم من هذا أنها عرضت عليه سكنى(باريس) أسوة بخديوي مصر (إبراهيم باشا) فقال : " إن إبراهيم باشا يرى باريس وغيرها من أمصار فرنسا منتزها يمرح فيه كيف شاء . وأما أنا فلا أرى فرنسا إلا سجنا لي ولمن معي فلا فرق عندي بين طولون وباريس " . [1] وهذه موعظة بليغة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، شاهدة على عمق إيمان الأمير وثقته بربه، وعدم اغتراره بزخارف الدنيا وزينتها الفانية، وأنه لا يرضى بأرض الإسلام بديلا للإقامة، وعبادة ربه، وهو درس كبير، للذين لا يفقهون سيرة الأمير، من الذين يزايدون على وطنيته، وإسلامه، فهاهو أمام الامتحان، فلم يتلجلج ولم يتزحزح عن مبادئه، بل قدّم لفرنسا وقادتها أعظم الدروس في أنفة وعزّة المسلم الواثق بنصر الله وتأييده .

يواصل يوسف الياس سركيس الدمشقي حديثه حول جوانب من ترجمة الأمير فيقول " ولما أفضى الامر إلى ناپوليون الثالث عاهل الفرنسيس زاره في امبوار وأظهر له كل تجلة وإكرام وأسف أسفا شديدا على تأخير الوفاء بانجاز الشروط إلى ذلك الوقت. وبعد أن بشره بالتسريح إلى بلاد الاسلام أخذ عليه العهد أن لا يرجع إلى بلاد الجزائر وأهداه سيفا مرصعا ورتب له في السنة مائة الف فرنك على أن تصرف له مشاهرة ثم سافر الامير ومن معه إلى القسطنطينية وتقابل مع السلطان عبد المجيد فاحتفل به احتفالا عظيما وأنعم عليه،بدار في مدينة بروسة فسكنها مع أهله وحشمه عامين وستة أشهر وفي سنة 1271 عزم على مبارحة بروسه لتوالي الزلازل فيها فاختار الاقامة بدمشق فأتى إليها وتلقاه أهلها باحتفال، عظيم ونزل دارا فسيحة بمحلة العمارة وفي نكبة 1860 م بذل الامير قصارى جهده بانقاذ جماعة غير قليلين من المسيحيين وأسعفهم في ضيقهم وكانت وفاته بدمشق بعد أن مرض خمسة وعشرين يوما وقد

[1]– بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري : د/ يحي بوعزيز . الأعمال التاريخية . طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر 2009 . ص: 49 .

تولى غسله وتكفينه الشيخ عبد الرحمن عليش أحد علماء الازهر وحمل نعشه على أكتاف الرجال إلى الجامع الاموي وبعد الصلاة عليه شيعه أهل دمشق إلى حجرة الشيخ الاكبر فدفن بها في جواره " [1]

يضيف الأب (لويس شيخو) الأمير عبد القادر إلى أدباء الشام ويعده من رجال السيف و من فرسان القلم. وبعد استعراض جانب من بطولاته الحربية ضد جحافل الفرنسيين الغاصبين، يقول لويس شيخو : " ومن مبراته جازاه الله خيراً دفاعه عمن احتمى في داره من نصارى دمشق في مذابح سنة 1860 وكان عددهم نحو أربعة آلاف. وكان الأمير عبد القادر مغرى بالعلوم محباً للعلماء يعظمهم ويحسن إليهم. قيل إنه كان يبلغ ما يوزع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كل شهر" [2]

ترك الأمير عبد القادر مؤلفات نفيسة، تدل على مكانته العلمية والأدبية ومن أبرزها : "ذكرى العاقل وتنبية الغافل، المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الاسلام من اهل الباطل والالحاد، المواقف في التصوف في ثلاث مجلدات، ديوان شعر، والصافنات الجياد في محاسن الخيل وصفاتها.[3] وبالنسبة لكتاب : (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) فإنه " رسالة ألفها بالتماس بعض أحبته بباريس إذ بلغه أن علماءها كتبوا اسمه في دفتر العلماء ونظموه في سلك العظماء. رتبها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة. وكان الفراغ من تسويدها في 14 من رمضان سنة 1271 (1854 م) طبعت في باريس سنة 1850 "[4]

---

[1] معجم المطبوعات العربية والمعربة . ج2، ص: 692، 693 .

[2] تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: 1346هـ) . دار المشرق – بيروت، الطبعة: الثالثة .ص:216.

[3] معجم المؤلفين : عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ) . مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت . ج5، ص: 304.

[4] معجم المطبوعات العربية والمعربة . ج2، ص: 693 .

ومن المحطات البارزة في سيرة الأمير العلمية، أنه بدأ " يتفرغ لما اختار من الموضوعات العلمية من قبل وهو في قلعة "أمبواز" الحصينة، فحوّلها إلى خلية نحل للدراسة، وداوم مدة خمس سنوات على التدريس والإفاضة في البيان والتثبيت لإفادة خاصته البالغين نحو ثمانين فردا، فقرأ السنوسية في التوحيد مثلما كان قد قرأها في أثناء الاشتغال بالمعارك الحربية والشعور بالحاجة إلى الاستعانة بمثلها في مواجهة الغزو الفكري، وقرأ عليهم أكثر مدونات الفقه المالكي شهرة بالغرب بعامة و" تلمسان " بخاصة، وهي رسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني وغيرهما، وسلك إخوته مسلكه، فنهض أخوه الكبر محمد السعيد والأخ مصطفى، وكذا خليفته وابن عمه ابن التهامي، فأفادوا الطلبة إفادته، واجتمعوا لقراءة " البخاري" و" الشفا" للقاضي عياض واستمروا إلى يوم السراح"[1]

ثانيا : مظاهر شخصية الأمير عبد القادر الجزائري :

شخصية الأمير عبد القادر متعددة المواهب والسجايا والعطايا، وللعلماء والأدباء والحكماء كلمات نيّرة حول هذه الشخصية الفذّة، التي لن يجود الزمان بمثلها قولا وعملا، ولكننا سنختار بعض هذه الشهادات المتعلقة بالجانب الإنساني للأمير، ففي دراسة حول تاريخه العسكري والإداري قال الباحث (أديب حرب) : " لا أستغرب أن يكون عبد القادر بن محي الدين المتعلق بالطريقة القادرية، قد أمضى شطرا من حياته في العبادة والزهد في زاوية القيطنة وأنهى أيامه بأعمال إنسانية وفقا لمبادئ الدين والشريعة حتى في أصعب الظروف وأحرجها . كان عميق الإيمان بالله وبالدين وشديد التمسك بالأخلاق والمبادئ الإنسانية . ففي سنة 1860 دافع عن مسيحيي الشام وحماهم وقصد آنذاك الجنرال بوفور دوتبول Beaufort d'Hautpoul، قائد الحملة الفرنسية، ليجتمع به ويطلب مساعدته في حل المشكلة . أما طريقته في معاملة الأسرى فكانت

[1] الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه : محمد السيد محمد علي الوزير. الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007م. ص: 50 .

خير مثال لإنسانيته، إذ كانوا موضع اعتناء واهتمام كبيرين، وكانت زوجته أيضا تسهر على راحة الأسيرات وتقدم لهن المأكل والمشرب".[1]

ذكر كاتب الأمير السيد (قدور بن رويلة) بعضا من خصال أمير المؤمنين السيد الحاج عبد القادر نصره الله فقال بعد كلمات نيرات حوله " اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن مولانا أمير المؤمنين ـ نصره الله ـ قد وفى ببيع نفسه من ربه، وانتصر لدين نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم تسليما . وأعد للكفار ما استطاع من القوة، وأجهد في إصلاح الأمة المحمدية غاية الجهد، وأنفق نفيس عمره في ذلك بلا حد، وقاتل في سبيل الله، وغزا غزوات عديدة، أطعم الكفار فيها ألم السهر، وسقاه العلقم والصبر [2]، وعمر بيت مال المسلمين وأنفقها في مصارفها . فملكه الله أرضه من وجدة إلى تونس . فنشر فيها أحكاما للشريعة المحمدية بعدما درست، وجعل في أقطار ملكه خلفاء بعد أن آيست، وجعل لكل خليفة عسكرا وإقامة ليحمي بيضة الإسلام من شوكة عبدة الأصنام . وينصر المظلوم ويقتص من الظالم . وبنى ـ نصره الله ـ حصونا لخزائن بيت المال وعمل على كل حصن بلدة منها " تاقدمت " و"تازة" و" سعيدة " و " بوغار " و" عريب " و" سبدو " وغيرها. وسيزيد ـ بحول الله وقوته ـ ما يغيظ به الكفار ويكسر به شوكتهم ويقصم صدورهم . فصدّ الله في أرضه صيتا عظيما، وملكا كبيرا ؛ مستندا فيه إلى أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن بن هشام نصره الله [3].

---

[1] التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1847/1808): د. أديب حرب . دار الرائد للكتاب . الجزائر،الطبعة الثالثة 2005م . ص: 12، 13 .

[2] الصبر الدواء المر، بكسر الباء .

[3] يعلق محقق كتاب " وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى " أ : محمد بن عبد الكريم . " هو سلطان المغرب الأقصى . وهذا مما يدلنا أن الأمير كان يكن للسلطان عبد الرحمن صداقة خالصة . وإخلاصا تاما، ولكن في الأخير تعكر الجو بينهما " هامش رقم (2) ص: 74 . من كتاب : وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى : قدور بن رويلة . تقديم وتحقيق : أ : محمد بن عبد الكريم . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سبتمبر 1968. ص: 73، 74.

إمعانا في الخدمات الجليلة التي قام بها الأمير في أرض الشام يقول الآغا بن عوده المزاري : " هذا وله خوض في جميع الفنون لم يقتصر على الفقه فقط، لاسيما علم الأدب والشعر كما شوهد من عدة رسائله، فقد قال أهل دمشق : إنه حصل سرور عظيم حين صادف فرصة في حماية النصارى من الفتك بهم حيث الثورة التي وقعت في سنة 1860، وفرح بإعادته لما كان متخلفا به من الحومة في ميدان الحروب بعد التخلي عنها زمانا، لا سيما إذا كان ذلك دون نقض المعاهدة مع الدولة الفرانسوية فوثب على الفاتكين بالنصارى كالأسد الضاري ولا زالت دكانه في دمشق تشهد على جلوسه عليها متحزما ثلاث ليالي لدفع كل هجمومة يقع على المساكين الملتجئين إليه فبينما كان والي دمشق أحمد باشا لم يبرز منه أمر بكف ذبح النصارى تريس (كذا) الحاج عبد القادر على عدة من الجزائريين المصادقين له، وقصد دار قنصل افرانسا ومنها خرج سبع مرار للتفتيش على النصارى الفارين في الأزقة الفازعين من شدة الرعب ليبوأهم (كذا) في داره حتى اجتمع عنده ثلاثة آلاف نفر . كما أمن في القلعة عشرة آلاف وجعلهم تحت حماية جزائرية فمات من خدامه بإزائه سبعة أنفس، ثم إن شيخ الإسلام أمر بمقاتلة الأمير عبد القادر في داره وهو تأهب للمدافعة عن نفسه إذا بألف نفس من دروز حوران دخلوا البلاد تحت أمر أسعد عمر الذي هو محب لقنصل اليونان ووعده بنصرته كلما حل الخطر وحمي الوطيس وكان الأمير كذلك فجاء أسعد إلى الأمير وقال له : ها أنا بين يديك فأمرني بما شئت ؛ وبمساعدته أمكن للأمير تخليص الثلاثة آلاف من الفتك ". [1]

1) <u>تقواه وصلاحه وعدله:</u>

لقد بلغ الأمير عبد القادر في التقوى والصلاح شأوا كبيرا، وذلك بفضل من الله تعالى أولا، وبحسن توجيه وتربية من الوالدين الأبرين الأكرمين، والبلد

[1]– طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر : الآغا بن عوده المزاري . تحقيق ودراسة : د/ يحي بوعزيز . دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى 2007م . ج2ص: 254 .

الطيب يخرج نباته بإذن ربّه .يقول الأمير في سيرته الذاتية التي كتبها في السجن سنة 1849م، ونشرت لأول مرة : " وكان في مبدأ صباه يشب شبابا لا يشبه أهل زمانه، ومنذ كان في حال طفولته يافعا يتخلق بالأخلاق الجميلة والأوصاف النبيلة إلى أن عقد القوى فاستجمع خصال الكبار المكلفين من أحوال دينية كالمجاهدة في تعلم دعائم الإسلام من صلاة وصوم بعد الاطلاع على كلمتي التوحيد، والبحث عن دلائلهما ومدلولاتهما وعللهما ومعلولاتهما،فنا بعد فن، إلى أن جمع من الفنون والعلوم ما شاء الله أن يجمع " [1] جاء في حاضر العالم الإسلامي : " وقضى بقية حياته في مثاقفة العلماء وإسداء الخيرات، وكان كل يوم يقوم الفجر ويصلي الصبح في مسجد قريب من داره في محلة العمارة . لا يتخلف عن ذلك إلا لمرض، وكان يتهجد الليل ويمارس في رمضان الرياضة على طريقة الصوفية وما زال مثالا للبر والتقوى والأخلاق الفاضلة إلى أن توفي رحمه الله سنة 1883م فدفن بمقام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي في الصالحية " [2]

وهذا جزء يسير من فضائل هذا الأمير الهمام، الذي أعلى ورفع راية الإسلام خفاقة إلى عنان السماء، يقول السيد (قدور بن رويلة) : " ومع هذه السطوة العظيمة فإنه ـ نصره الله ـ في غاية الزهد، والورع، والعفاف، والصيام، والقيام، والتواضع لله، ولعباده : الشريف والوضيع . فمن تعففه ـ نصره الله ـ أن لا يدخل بطنه الشريف ولا بيته الطاهر المنيف شيء من متاع بيت المال ؛ قل أو جل . ومن زهده أن الهدية التي يخص بها فلا يعبأ بها، وإنما يصرفها في

---

[1]– مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 تنشر لأول مرة .: تحقيق : د/ محمد الصغير بناني وآخران . أخرج أحاديث الطبعة : أ : عبد المجيد بيرم . دار الأمة، الجزائر،. ص: 50 .

[2]– حاضر العالم الإسلامي تأليف : لوثروب ستودارد المريكي . نقله إلى العربية : أ : عجاج نويهض . وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث . بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير : الأمير شكيب أرسلان . مكتبة ابن تيمية . القاهرة . ج2، ص: 172 .

مصارفها ببيت المال . ومن ورعه ـ نصره الله ـ أنه لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس، إلا ما خلص من الشبه . ومن عدله أنه إذا جلس ـ نصره الله ـ لفصل الخصومات يخفض جناحه وينصت للشاكي ؛ وهو مبسوط الوجه، ويؤنس وحشة الشاكي إذا دهش من جلاله، ويحكم له أو عليه بالنص ؛ ولو كان قريبه، فلا يغضب، ولا يحب، ولا يكره، إلا لله . ومن أدبه وتواضعه أنه ـ نصره الله ـ تولى تعليم الخيالة بنفسه ؛ ليثبتوا فوق ظهور الخيل ويتعلموا نصب البندقية، والحالة أن الفرس راكض ويرمي الفارس، فيصيب . وليتعلموا فر المكيدة وكر الهزيمة وهو ـ نصره الله ـ كأنه واحد منهم يضرب ويكر ويفر، لا يدخله عجب، ولا رياء، ولا سمعة. فهو في غاية الديانة والصيانة والشجاعة" .[1]

وتذكر الباحثة حفيدة الأمير عبد القادر الجزائري، الأميرة بديعة الحسنى أن المؤرخين أجمعوا " على أن حكومة الأمير تكونت من ذوي الخبرات الذين اشتهروا بالعلم والفضل والتقوى . وكان الأمير يطلب منهم القسم على التقيد بالعدل وخدمة الوطن والإخلاص وكان هناك منادي في الأسواق يطلب من له حاجة أو شكوى على خليفة أو قائد أو زعيم فليرفعها إلى ديوان الأمير من غير واسطة وكان الأمير ينصف الجميع، ومن لا يرفع ظلامته إليه لا يلومن إلا نفسه . " [2]

بل يمكن تشبيه الأمير عبد القادر ولا عجب في ذلك بخامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رحمه الله، جاء في سيرة الأمير الذاتية : " وكان أمير المسلمين المذكور حقيقا بالتشبه بالمرواني المذكور المتفق على عدالته بإجماع العلماء، واتفاق جماهيرهم على إلحاقه بالخلفاء الأربعة الراشدين ... فأميرنا المذكور جدير بالاتصاف والتخلق بأخلاق ذلك العادل الذي طبق عدله

---

[1]– وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب .ص: 75، 76 .

[2]– الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف . الأميرة بديعة الحسني الجزائري . دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر . (دون تاريخ الطبع) لكن حسب الإيداع القانوني هناك تاريخ 2008 . ص: 55 .

الأرض، مشارقها ومغاربها ؛ وأجمع أهل العقد و الحل من علمائنا، وأشرافنا، وعرفاء، الأجناد والقبائل حضرا أو بدوا، على أنه كان لا يتجاوز ما حد له من الحدود الشرعية ولا يتبع هوى نفسه، ولا يوقر قريبا على أجنبي، أو صديقا على عدو دنيوي، مع اتفاق حكمه على النصوص الشرعية المنصوص عليها في كتبنا الفرعية المبنية على مآثر القرآن والأثر النبوي، التي من جملتها قتال الباغين ومحاربة المحاربين المارقين كما قال طير المالكية أبو الضياء خليل رحمه الله " الباغية فرقة خالفت الإمام لمنع الحق، فالعدل قتالهم " [1]، والتأكيد على العدل في هذا المقام السامي، إنما هو لمكانة نحرّي الحق والحكم بالعدل بين جميع الناس فالعدل أساس الملك الصحيح والضامن لاستمراريته .

2) <u>خشيته وشجاعته :</u>

أما عن خشيته لله تعالى، فهي ناتجة عن رياضته لنفسه، واستشعاره لمراقبة الحق سبحانه لحركاته وسكناته، وهو سبحانه الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وبيّن السيد (قدور بن رويلة) جوانب من خشيته لله تعالى، تجلّت في مواعظه البليغة التي تلين القلوب القاسية، وتجري العيون الجامدة . حيث " فتح الله له . وتاب على يده خلق كثير، وفر إليه كثير من الطائفة الفرنسوية، وأسلموا على يديه، وحسن إسلامهم ؛ فهم ـ الآن ـ يصلون ويصومون . ومن شجاعته ـ نصره الله ـ أنه يحمل على العدوّ بنفسه، ويرد الهزيمة على العدوّ . وله مشاهد عظيمة لا يحملها هذا الكتاب . ومن علمه أنه إذا توجه إلى التدريس، فيلهمك ما تسمعه، من عذب العبارات، وحل الغامضات، بلا رمز، ولا إشارات ". [2]

---

[1] مذكرات الأمير عبد القادر . ص: 113 .

[2] وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب . ص: 76 .

3) بلاغة الأمير عبد القادر :

ليس غرض هذا البحث هو الاستقصاء عن كل شيء في شخصية الأمير عبد القادر، ولكن الغرض هو بيان جوانب مضيئة من هذه الشخصية وتقديم مفاتيح أساسية للولوج أكثر في بحوث مستقبلية لتشريح شخصية الرجل . لذلك نقول إن الأمير، وصل إلى درجة كبيرة من الناحية البيانية تجلّت في نصوصه الشعرية والنثرية، والتي تمت إعادة قراءتها اليوم من قبل بعض الباحثين الكرام، من أبرزهم أستاذنا الباحث : محمد بشير بويجرة ، في كتابه " الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث " وهو عنوان يحاول من خلاله طرح تساؤلات مشروعة في الدراسات النقدية اليوم .

لقد شكّلت سيرة الأمير وشاعريته دافعا قويا للباحث الجزائري منذ أمد بعيد للتفكير في الجانب الإبداعي للأمير عبد القادر، ومدى التهميش الذي تعرّض له في هذا الجانب بإحلاله المكانة التي تليق بعظمة شاعريته في أسمى أشكالها وبمنتهى الموضوعية المعرفية، لأجل ذلك انبرى الباحث (محمد بشير بويجرة) لتأليف كتابه (الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث). حيث خصص حيّزا تحدّث فيه عن تيمة مهمة في شعر الأمير لها اتصال وثيق بموضوعنا ألا وهي تيمة (حوار الحضارات وتقارب الأديان) وبيّن " أنه يمكن أن يكون النص الشعري الأميري قد ألمح إلى ضرورة تأسيس حوار إقليمي متوسطي ثم عالمي، فقد أثبتت الأيام، بعد ذلك، أن هذا المشروع يكاد يشكل صلب معاناة الذاتين العربية والإسلامية، كما أصبح هذا الحوار شبه موضوعة يتداولها أهل الحل والعقد في عالم العصر الحديث"[1] .

ومن خلال النصوص التي أنجزها الأمير في المقراض الحاد يستخلص الباحث أن الأمير اعتمد " اعتمادا كليا على إعطاء الأولوية والأهمية للسلوك

[1] الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث : د/ محمد بشير بويجرة . منشورات دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر .الطبعة الأولى 2009م . ص: 216 .

والممارسة المنجزين في حياة الإنسان على حساب الاعتقادات والشعارات مما جعله يوفي بكل المعاهدات ويحافظ على العهود التي قطعها على نفسه ... " [1]

يقول الأمير عبد القادر :

يارب إنك في الجهاد أقمتهم

فبكل خير عنهم فتفضل

يارب يارب البرايا زدهم

صبرا ونصرا دائما بتكمّل

وافتح لهم مولاي فتحا بينا

واغفر وسامح يا إلهي عجِّل

يارب مولاي وابقهم قذى

في عين من هو كافر،بالمرسل

وتجاوزن مولاي عن هفواتهم

والطف بهم في كل أمر منزل

يارب واشملهم بعفو دائم

كن راضيا عنهم رضا المتفضل

يارب لا تترك وضيعا فيهم

يارب واشملهم بخير تشمُّل[2]

---

[1] المرجع نفسه. ص: 216 .

[2] ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807 ـ 1883م . جمع تحقيق ـ شرح وتقديم : العربي دحو .منشورات تالة . الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م . . ص: 86، 87 .

يقول في قراءته لهذا النص الشعري : " مثل هذه اللقطة الشعرية تحيل إلى تلك المرجعية المعتمدة في النضال والكفاح خلال تلك الفترة التي كثرت فيها الرباطات التي كان ينظمها العلماء وطلبتهم في شتى الأماكن الحساسة من الوطن وخاصة الشمالية منها القريبة من البحر التي كانت تشكل نافذة خطرة يدخل منها الغزاة " [1]

ليصل إلى خلاصة مفادها :" ويمكننا أن نستخلص من ذلك كله رؤية شعرية تكرس لمبدأ هيمنة النص الشعري على المنظومة الإعلامية في استراتيجية الأمير العسكرية والحياتية ... "[2].

إن هذه النبرة الدعائية، إنما هي من الحس الديني والنزعة الصوفية الإيجابية العميقة التي انطبع بها شعر الأمير، والذي لا يرى النصر إلا من عند الله، وأن حسن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب، وهذا ما تجلّى في شخصية الأمير العسكرية .

ومما ذكره العارفون به أن " من بلاغته ـ نصره الله ـ أنه إذا أراد النظم والنثر، فحدث عن البحر ولا حرج ما تحار فيه الفصحاء، وتتعجب منه الأذكياء ... فمن كلامه ـ نصره الله ـ الدال على تعلق همته بما عند الله، ولم تغره الدنيا، وزهرتها وإقبالها عليه، ما قاله ـ ارتجالا ـ حين دخل تازة ورأى تشييد ما أمر به في أقرب مدة حمد الله وأثنى عليه وقال (كامل) :

الله أعلم أن هذا لم يكن مني على طول الآمال دليلا

كلا وإن منيتي لقريبة مني وأصبح في التراب ذليلا

وقصار ما أبغي رضاء الهنا وبقاء نفعي الخلق بعد طويلا[1]

---

[1] الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث . ص: 143 .

[2] المرجع نفسه. ص: 144، 145.

وعلى العموم فإن قصائد الأمير العديدة، وفي مختلف الأغراض التي خاضها وأجاد فيها، تمثل الوجهة الأدبية، في شخصية الأمير، وهي تحتاج إلى دراسات معمقة نأمل القيام بها في مناسبات قادمة إن شاء الله تعالى .

4) <u>حرصه على الحكمة والاستفادة منها ولو من عند الآخر :</u>

يقول الأمير في مذكراته مشيدا بالمكانة التي بلغتها الأمة الفرنسية، بفضل مبادئ الثورة الفرنسية، التي أعادت للإنسان مكانته، وشجعت العلم والعلماء، وأرست دعائم الحق والعدل بين مواطنيها، ولم ينسق الأمير وراء عواطفه أو وراء فكرة التعصّب، ليبخس الناس أشياءهم، يقول الأمير رحمه الله : " فاستوى بسياسة نظرهم الرئيس والمرؤوس والشريف والمشروف والرفيع والوضيع ليجزي كل واحد على قانون الآخر ولا يختص بأحكام مفضول على فاضل ولا يقع التصرف على أدنى لما له قلة دون الأعلى ولا يتجبر بالتكبر عالي منزلة على سافل ويجري حكم شرع الإنصاف على من تجاوزوا الحد المشروع كيف كان حسبا ونسبا، ولأن التفريق بين الناس في الحكم هو سبب هلاك كثير، كما قال صلى الله عليه وسلم : " إنما هلك من كان قبلكم، إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها " . حين سألوه العفو عن المخزومية التي سرقت " [2].

والأمير بقوله النفيس هذا المستمد من مشكاة النبوة إنما كان يطبق فحوى الحديث الذي يقول :" (الْكَلِمَة الْحِكْمَة ضَالَّة الْمُؤمن) أَي مَطْلُوبه .... (فَحَيْثُ

---

[1] وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب . ص: 76، 77 . وجاء في الهامش (1) من ص: 77 من هذا المرجع نفسه : " وقد أمر الأمير بكتابة الأبيات الثلاثة على سور الحصن .وتقارن بما ورد في ديوان الأمير . ص: 84 .

[2] مذكرات الأمير عبد القادر . ص: 197 . ويقول مخرج أحاديث الكتاب في حديث قصة المرأة المخزومية التي سرقت أنه رواه البخاري : كتاب الحدود / باب : إقامة الحدود على الشريف والوضيع 87/12 ومسلم كتاب الحدود / باب : قطع السارق الشريف وغيره . 2/ 1310 . (بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، وأصحاب السنن . هامش (1) من الصفحة نفسها .

وجدهَا فَهُوَ أَحَق بهَا) أَي بِالْعَمَلِ بهَا واتباعها كَمَا أَن صَاحب الضَّالة لَا ينظر إِلَى خسة من وجدهَا عِنْده (ت هـ عَن أبي هُرَيْرَة وَابْن عَسَاكِر عَن عَليّ) // بِإِسْنَاد حسن //[1]

وفي باب الحكمة من حاشية السندي[2] على سنن ابن ماجه الحديث رقم 4169 – حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا» فقَوْلُهُ: (الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ) أَيْ: ذَاتُ الْحِكْمَةِ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَيْهَا (ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ) أَيْ: مَطْلُوبَةٌ لَهُ بِأَشَدِّ مَا يُتَصَوَّرُ فِي الطَّلَبِ كَمَا يَطْلُبُ الْمُؤْمِنُ ضَالَّتَهُ وَلَيْسَ الْمَطْلُوبُ بِهَذَا الْكَلَامِ الْإِخْبَارَ إِذْ كَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ لَيْسَ لَهُ طَلَبٌ لِلْحِكْمَةِ أَصْلًا، بَلِ الْمَطْلُوبُ بِهِ الْإِرْشَادُ كَالتَّعْلِيمِ أَيِ اللَّائِقُ بِحَالِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ مَطْلُوبُهُ الْكَلِمَةَ الْحِكْمَةَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَخْبَارُ الْحَمْلِ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْكَامِلِ فِي الْإِيمَانِ (حَيْثُمَا وَجَدَهَا) أَيْ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَظَرُ الْمَرْءِ إِلَى الْقَوْلِ لَا إِلَى الْقَائِلِ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَا قَالَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.[3]

---

[1]– التيسير بشرح الجامع الصغير : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ). مكتبة الإمام الشافعي – الرياض .الطبعة: الثالثة، 1408هـ – 1988م.ج2، ص: 227.

[2]– السندي (000 – 1138 هـ = 000 – 1726 م) محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي: فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير والعربية. أصله من السند ومولده فيها، وتوطن بالمدينة إلى أن توفي. له (حاشية على سنن ابن ماجه – ط) و (حاشية على سنن أبي داود – خ) و (حاشية على صحيح البخاري – ط) و (حاشية على مسند الإمام أحمد) و (حاشية على صحيح مسلم – خ) و (حاشية على سنن النسائي – ط) و (حاشية على البيضاوي) وغير ذلك .نقلا عن : الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) . دار العلم للملايين.الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.ج6، ص: 253 .

[3]– حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه : محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ) . دار الجيل – بيروت، بدون طبعة. ج2، ص: 542 .

وجاء في شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره من السادة العلماء الحديث تحت رقم [4169] " الْكَلِمَة الْحِكْمَة ضَالَّة الْمُؤمن " أَي كَأَنَّهُ فقدها وأضلها إِشَارَة الى مَا قيل انْظُر الى مَا قَالَ وَلَا تنظر الى من قَالَ روى عَن الشبلي انه سمع فِي السُّوق الْخِيَار الْعشْرَة بدانق فَوجدَ عَلَيْهِ وَقَالَ هَذَا الْخِيَار فَمَا بَال الشرار وَلِهَذَا سمع النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائَة بَيت من أَبْيَات أُميَّة بن الصَّلْت مَعَ انه كَانَ كَافِرًا وَالْغَرَض مِنْهُ ان للعارف فِي كل حَرَكَة وَسُكُون من الْمَخْلُوقَات اشعار على شَأْنه عز وَجل فَإِنَّهُ تَعَالَى كل يَوْم هُوَ فِي شَأْن ولنعم مَا قَالَ شيخ مشائخنا الْمظهر وَقَالَ غَيره عباراتنا شَتَّى وحسنك وَاحِد وَقَالَ غَيره وان نطقت بِذكر غزلان النقي أَو زَيْنَب وعلوه وسعاد فأنتموا مطلبي وَغَايَة مقصدي وانتمو من الْجَمِيع مرادي لَا شَيْء يشبهكم تَعَالَى ذكركُمْ عَن قَول كل ذِي زيغ والحاد.[1]

ومن خلال هذه الشروح حول (الحكمة ضالة المؤمن) يتضح لنا من خلال سلوكيات الأمير عبد القادر الجزائري أنه كان مستوعبا تماما لدلالاته العميقة وفوائده النفيسة التي ينطوي عليها، وهذا ما جعله يشيد بالتطور العلمي والأدبي الكبير الذي بلغتهما الأمم الغربية، في زمانه ولو عاش لزماننا هذا لرأى العجب العجاب مما أبدعوه وصنعوه .

ويقول في الصفحة الموالية من مذكراته : " وبهذا تعلم أن هذا الجنس الفرنسوي فاق على جميع الأجناس الرومية والنصرانية بكونه يستعمل الفائدة، وينقلها أينما وجدها ولا يقول هذه ليست لغتي أو ليست عادة بلدي أو وطني، فكأنهم سمعوا قول نبينا صلى الله عليه وسلم : " الحكمة ضالة المؤمن يطلبها حيث يجدها " . وقال المغيلي في الرد على السيوطي حين قال بتحريم المنطق لأنه إنما ابتدعه كافر يشير إلى أفلاطون :

---

[1]- شرح سنن ابن ماجه (مجموع من 3 شروح) : 1- «مصباح الزجاجة» للسيوطي (ت 911 هـ) 2- إنجاح الحاجة» لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي (ت 1296 هـ)3- «ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات» لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (1315 هـ) . قديمي كتب خانة – كراتشي . ص: 307.

ودع عقلا أبداه كفور وذمـــه رجال وإن أثبت صحة نقله

خذ العلم حتى من كفور ولا تقم دليلا على شخص بمذهب مثله

وسيأتي تمام هذه المعاني في الفصل بعده عند ذكر خصال الروم، وما مدحوا به قديما وحديثا. فحينئذ تأملنا فيهم الشفقة والحنانة تأملا كافيا، وأملا شافيا".[1]

5) عنايته بالحركة العلمية وحماية المخطوطات

يذكر الدارسون لدولة الأمير عبد القادر الجزائري أن هذا الأمير الجليل : " كان يبذل كل غال ونفيس في استحضار الكتب وجلبها من الآفاق، وسواء كان ذلك عنده بالشراء أو النسخ والنقل، وأصدر في ذلك أمره للجند بالمحافظة التامة على ما يقع بأيديهم من الكتب، متوعّدا في أمره هذا كل من يبلغه عنه أنه أهان كتابا أو استقلّه واحتقر شأنه، فإنه كان يعاقب على ذلك عقابا شديدا . وكان يقدّم جوائز ومكافآت مشجّعة لكل من يأتيه بكتاب أو مؤلف مهما كان نوعه، وأسس لهذا مكتبة ضخمة بمدينة تاكدامت، ويكفينا في ذلك ما تحدّث به المؤرخون عن هذه المكتبة الجليلة يوم أن قضى عليها الاستعمار، وأتلفها في حادثة " الزمالة" (10ربيع الثاني 1259 هـ - 10 ماي 1843م) . فذكروا أنه كان بها من نوادر المخطوطات ونفائس المؤلفات ما يقدّر ثمنه بنحو خمسة آلاف ليرة .

[1]- مذكرات الأمير عبد القادر . ص: 198، 199 . وحديث " الحكمة ضالة المؤمن يطلبها حيث يجدها " قال في تخريجه في هامش (3) من ص: 198 رواه " الترمذي ؛ كتاب العلم / باب : ما جاء في فضل الفقه على العبادة، 51/5 بلفظ :" الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها "، وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وضعف أحد رواته، ورواه ابن ماجة، كتاب الزهد / باب : الحكمة : 1395/2 .

قال الجنرال " أزان Azan " : كان الأمير عبد القادر يومئذ يتقزز من ألم ألمّ به وهو يتتّبع خطوات الفرنسيين ـ نحو المدية ـ يجمع الأوراق الممزّقة المتناثرة من كتبه الثمينة على طول الطريق الطويل تلك الكتب التي كانت قد كلّفته كثيرا من الوقت والجهد في جمعها، وبفقد هذه المكتبة فقدت ثمرة تعب أجيال في التمحيص والجمع والنسخ " [1] . وهنا لابد من وقفة لأولي الأبصار للمقارنة بين همجية الاستدمار الفرنسي، وسموّ أخلاق الأمير عبد القادر وآدابه في معاملة العلم وأهله، كيف لا يكون كذلك، وهو سليل الدوحة النبوية الشريفة التي تواصت عبر التاريخ بالحق وتواصت بالصبر .

ومما كتبه المرحوم عبد الرحمن الجيلالي : " لقد حدّثنا التاريخ عن كثير من الإنجازات التي حقّقتها دولة الأمير عبد القادر الفتية، فلقد كان الرجل عالما مشاركا ومن شأن العالم أن يعمل على نشر العلم وبث أصناف المعرفة بين الناس، فكان الأمير عبد القادر يدور حول محور العلم والدين ويجل العلماء ويكرّمهم فيجزل لهم العطاء، وأعفى طلبة العلم من الانخراط في سلك الجندية ليتفرغوا لطلب العلم، بل وأعفاهم من كل مطالب الدولة وواجباتها، وكان من تمام عنايته بالعلم وأهله أن استقدم العلماء من الآفاق حتى من الأجانب عن دولة الإسلام ممن كانت لهم خبرة ومعارف تقنية، وكثيرا ما كان يباشر بنفسه إلقاء دروس في مختلف أنواع علوم الأدب والشريعة والتصوف والفلسفة والكلام، وهو إذ ذاك في حالة حرب ونزال، وكان يربأ بنفسه عمّن لا يأنس منه ميلا للعلم، وذلك مما كان باعثا قويا للطلبة على الاجتهاد في تحصيل العلم والإقبال على مجالس العلماء " [2] .

---

[1]– عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، طبعة 2009م، ج5، ص: 94.

[2]– المرجع نفسه ، ج5، ص: 92، 93 .

ومن الشواهد الدالة على عناية الأمير بالحركة العلمية، وانفتاحه نحو اكتساب الحكمة أينما وجدت انطلاقا من الهدي القرآني والنبوي أن هذا الأمير العظيم كان " يصبو إلى تأسيس مدرسة للطبّ يجعلها تحت إدارة وإشراف طبيبه الخاص ابن عبد الله الزروالي، وفعلا أنشأ كما ذكره ولده محمد في تحفة الزائر، بكل المقاطعات مستشفى يشرف عليه أربعة من مهرة الأطباء، ورتب فيه خدمة من أفراد العسكر لمواساة المرضى وتمريضهم حضرا أو سفرا، بشرط أن يكون الممرّض من ذوي النباهة والأدب مع طلاقة الوجه واتساع الخاطر حتى لا تضيق بهم نفوس المرضى، وأعدّ للمريض جميع ما يحتاج من أكل وشرب وفراش وغطاء ودواء، ورتب لرئيس الأطباء من بيت المال كسوة من الجوخ الجيّد تامة واثني عشر ريالا في كل شهر، وله في كل يوم خميس واثنين من اللحم ربع شاة وله رغيفان من الخبز الأبيض في كل يوم أو رطلان من البقسماط، وفي كل ليلة رطلان من البرغل وأوقيتان سمنا أو زيتا عند فقد السمن، وكذلك في النهار إن فقد الخبز والبقسماط معا وله في كل يوم ثلاثة أرطال حطبا كما جعل للممرضين مرتبات يتقاضونها من بيت المال وكلما تقدم الممرض في معرفته بأسرار حرفته وشهد له الأطباء بالتقدم فيها وإتقان مهنته زادت مرتباته على حسب تفاوت درجته في المعرفة وتفوّقه فيها . كما أنه رحمه الله كان يصبو إلى إنشاء مصنع لنسج الأقمشة والملف وآخر لصنع الكاغد ولكن الأقدار حالت دون ذلك " [1] .

وهذه العناية الأميرية المحفوفة بالحرص على استكمال الجوانب التصنيعية في مملكته الفتية، إنما هو نابع من شعور، وإيمان عميق بأهمية التصنيع في تقدم ورقي وازدهار الأمم والشعوب، لاسيما إذا كان مؤطرا بسياج إيماني وأخلاقي، لتحقيق خلافة الله في أرضه التي يورثها لعباده الصالحين،

[1]- تاريخ الجزائر العام . ج5، ص: 94، 95.

وكيف لا يتوجه الأمير عبد القادر هذا التوجّه، وهو يقرأ قصة داوود عليه السلام، وعنايته بالحركة التصنيعية في مملكته، وكيف وفقه الله سبحانه وتعالى لتحقيق هذه الغاية النبيلة، حقا لقد قرأ الأمير عبد القادر كتاب ربه، ووقف على كثير من أسراره في كيفية بناء الدول وسياسة الشعوب .

6) **روحه التقدمية وتفانيه في العمل والحرص على النظام مع التفتح على الآخر :** من المميزات التي فعلت فعلها في المجتمعات العربية، ودفعتها نحو السير على هدي خطى الأمير وأمثاله من أبطال العرب العظام، تلك الميزة التي كان يمتاز بها الأمير وهي " روحه التقدمية وحبه للنظام . فقد آمن إيمانا عميقا بضرورة تطوير وطنه، وكان يعرف مدى الهوة التي كانت تفصله عن التقدم الحضاري الذي كان العدو يتمتع به . وللخروج من ذلك كون الأمير جيشا حديثا سلحه بأحدث الأسلحة ووضع على رأسه مدربين عصريين، في الغالب من الأجانب . كما أقام دعائم دولة حديثة عمادها سلم إداري تصاعدي مسؤول ؛ قاعدته الشيخ وقمته الخليفة الذي هو مسؤول مباشرة للأمير نفسه . وساند ذلك النظام الإداري بنظام محكم يوفر التموين والتعليم والقضاء والمواصلات والتسليح والمخابرات الخ."[1] .

لقد أضحى الأمير بفضل إيمانه العميق وانفتاحه على مختلف الثقافات مثار اهتمام وإعجاب الغربيين بشخصية الرجل ومحاولة فك أسرارها يقول أبو القاسم سعد الله : " ولعل أهم من ذلك كله ما اشتهر به الأمير من إعجابه بالتقدم الإنساني وأخذه بأسباب الحضارة الحديثة "[2] ومؤلفات الأمير تشهد شهادة لا لبس فيها أن الرجل كان يمثل الصورة المشرقة للإسلام في ذلك الزمان الذي قدّر له أن يظهر على مسرح أحداثه، حيث يرى بعض الباحثين

---

[1]- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر : د/ أبو القاسم سعد الله . دار المعرفة الجزائر، طبعة خاصة 2009م .ج1، ص: 131.

[2]- المرجع نفسه . ج1، ص: 131.

أن كتاب " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل " يحمل في نصه الأصلي وترجمته " حكمة التعقل الإنسانية، النابعة من الدين الإسلامي والأخلاق العربية النبيلة، من خلال الاتصال بالآخر سواء أكان هذا الآخر صديقا أم عدوا، والذي يحمل تصورا نفسيا وثقافيا ودينيا وفكريا مختلفا " [1] .

يستنبط الباحث (محمد العربي ولد خليفة)، من سيرة الأمير عبد القادر مجموعة من الدروس القيمة، والتي هي أشد ما يحتاجه عالم اليوم لتستقر أحواله وتنتظم أموره، فحسب الباحث " فإن الأمير استطاع التوفيق بين أعباء القيادة في مرحلة عصيبة ومؤسسات البلاد تتعرض للتدمير الشامل، وبين الاهتمام بالثقافة وتسجيل تأملات فكرية وجمالية على درجة عالية من الأهمية التاريخية والمعرفية ... ومن الدروس التي استنبطها الباحث تقديم تجربة أولية للشورى أو الديمقراطية كما أنه ستبقى سيرة الأمير من بين المصادر الأساسية للباحثين في خصائص المقاومة الوطنية للاحتلال الإجرامي، ومن الدروس أيضا بيان مؤهلات القيادة الحقيقية التي توافرت في شخصية الأمير واستحق بسببها المبايعة الشرعية من شيوخ القبائل الجزائرية على الرغم من صغر سنه ... ومن الدروس البليغة أيضا بيان عواقب الطمع والخيانة، والتي تجسّدت في تلك الفئة من الجزائريين التي باعت ضمائرها لفرنسا رغبا ورهبا من فرنسا، فقاومها الأمير حسب ما تقتضيه قواعد الشرع ومصلحة الأمة، وأثبتت الأيام أنها كانت من بين العوامل الرئيسة لانهيار المقاومة جرّاء خيانتها وتواطئها، ومن ثم فالتاريخ يذكّر قراءه دوما بالحذر منها والاحتياط التام من تصرفاتها"[2]

---

[1]– شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر ترجمة أشهر مؤلفات الأمير من قبل الباحث الفرنسي جوستاف دوجا : د/ عبد القادر شرشار .. دار سفيان، للنشر والتوزيع، واد سوف، الجزائر، الطبعة الأولى 2014. ص:8 .

[2]– ينظر : المنطقة العربية الإسلامية مدخل إلى نقد الحاضر ومساءلة الآخر : محمد العربي ولد خليفة . دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر، 2007م . 256 وما بعدها .

وفي موضع آخر وزيادة في بيان البعد التسامحي في فكر الأمير عبد القادر، والمتمثل في انفتاحه على شتى الشرائع السماوية، لأن مصدرها واحد، وإليه يرجع الأمر كله، وهو الحق سبحانه وتعالى. يقول الباحث عبد القادر شرشار" كما أن الأمير عبد القادر من خلال زيارته لكنيسة مادلين L'eglise Madeleine عام 1852 بباريس يكون قد جدد الفعل التواصلي بين الديانات، والذي قام به عمر بن الخطاب منذ أحد عشر قرنا خلت في بيت لحم بالقدس Dans la basilique de la nativité من حيث التعبير عن سماحة الدين الإسلامي، واحترامه للآخر، والتعامل بالحسنى مع أصحاب الديانات الموحدية"[1]

اهتمام الأمير بموضوع التعايش بين الحضارات .

من صور التسامح والتعايش بين الآراء والحضارات على ضوء رواية الأمير:

إن سيرة الأمير العطرة، حافلة بشتى صور التسامح، الذي أوصى به الإسلام أتباعه، في معاملة الأسرى المعاملة التي تليق بإنسانيتهم، وحقوقهم المشروعة والتي أقرتها المواثيق الدولية حديثا، كما أنه لم يرفع السيف إلا في وجوه الذين جاءوا من وراء البحار، لنهب البلاد واستذلال العباد، ونشر المسيحية في أرض سكانها مسلمون، ونشر الفرنسية في أرض أهلها بالعربية ناطقون، لذلك كان لا مناص من جهادهم والإغلاظ لهم، حتى يخرجوا من أرض العروبة والإسلام، وهذا شق ربما أهمله بعض الدارسين وهم يحاولون فقط تقديم صورة الأمير المتسامح، وتجريده من بعده الجهادي المشروع في زمانه ومكانه وسياقه التاريخي، كما أن الأمير في مجال معاملة الآخر المسالم والباحث عن أسرار هذا الدين كان في قمة التسامح، وبعد هجرته إلى أرض الشام قدّم أعظم الدروس

[1]– شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر . ص: 136 .

في التسامح وحوار الحضارات، لذلك سنحاول تقديم بعض الصور النموذجية من ذلك وبالله التوفيق .

ومن هذه الصور ما ذكره الأستاذ بوعلام بسايح : " كان لدى عبد القادر أسرى منذ 1833 . وعندما يكون بينهم نساء، وقد كان فيهم بعضهن، كانت تهتم بهن أمه وزوجته، اللتان كانتا تسهران شخصيا على أن يكون اعتقالهن أقل قساوة، وأن يصان شرفهن . ففي كتابه (أسرى عبدالقادر) الذي نشره السيد دوفرانس Monsieur de France بعد أسره لدى الأمير، والذي كان ملازما في البحرية، جاء ما يلي : " طالما أنت إلى جانبي، قال له الأمير، لن يكون عليك أن تخشى من شيء، لا من معاملة سيئة ولا من إهانات، ولقد وفى بكلامه " [1] .وفي رسالة موجهة من أحد سجناء 1842 إلى القائد الفرنسي، نلحظ في المقطع التالي وتحته سطر في النسخة الأصلية : " تعامل معي عبد القادر بشهامة، قد لا أجدها في بلدان أوروبا الأكثر تحضّرا "[2] .

خاتمة:

لقد ساهمت مجموعة من العوامل المتداخلة وراثية ودينية واجتماعية في تشكيل شخصية الأمير عبد القادر، في حبّه للعلم، وفهمه المستنير لحقائق الدين الإسلامي الحنيف، الداعي لقيم الخير والفضيلة، والمبشّر بكل ما يحقق سعادة البشرية في دنياها وأخراها، وزادتها عمقا وإيمانا ومقاومة للظلم والاستبداد، ما تعرّضت له بلاده الجزائر، من هجمة صليبية حاقدة استهدفت الأرض والإنسان

[1]– من لويس فيليب إلى نابليون الثالث الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا : د/ بوعلام بسّايح . تعريب : د/ خليل أحمد خليل . (أعمال د/ بوعلام بسايح) المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، رويبة الجزائر 2010م . (طبعة خاصة وزارة المجاهدين) . م1، ص: 95 .

[2]– المرجع نفسه . م1، ص: 98 .

والمعتقد، فكان نعم الملبّي لنداء الواجب، والتزامات البيعة الشرعية، فقام بواجب الجهاد المقدّس خير قيام، وقام بواجب الهجرة في سبيل الله حينما ضاقت به السبل، وقام بواجب التعليم والنصح والتوجيه،للمسلمين والإنسانية كافة حينما استقرّ به المقام بأرض الشام، حتىّ جاءه الأجل المحتوم، فلبّاه كما يلبّيه كل مؤمن صادق يرجو رحمة الله ويخشى عذابه، ولقد ترك الأمير عبد القادر صدى واسعا في العصر الحديث ويتجلى ذلك فيما يلي:

1. كان له أكبر الأثر فيمن جاء بعده من قادة الجهاد في العالم الإسلامي، مستلهمين روحه المشرقة، ومستفيدين من دروسه في ردّ العدوان وردع الظالمين، ومتأسّين بمنهجه الحكيم في طريقة تنظيم الجيوش، وبناء الجانب العسكري والروحي والعلمي في الأمة .
2. أرسى الأمير بفضل شخصيته الحكيمة القواعد الأصيلة لنظام الحكم، المؤسس على البيعة الشرعية، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، والتي هي مبايعة من أهل الحل والعقد في الأمة، الذين يمثلون القاعدة الشعبية، التي ترى فيهم الجدارة وأهلية تنظيم المجتمع .
3. تركت معالم شخصيته المتنوعة المواهب، أكبر الأثر في مجتمعه الجزائري الذي رأى فيه القائد الجدير بقيادة سفينة الجزائر في أحلك الظروف التي عصفت بها في بدايات العصر الحديث، مع تكالب القوى الاستعمارية الكبرى للاستحواذ على خيرات ومقدرات شعوب العالم الإسلامي .
4. كان له أكبر الأثر في إعطاء الجهاد الإسلامي فلسفته الحقيقية، *القائمة على مبدأ* ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[1] وقوله تعالى﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[2].

5. لقد كان لوقفته الإنسانية الرائعة في الفتنة الطائفية بالشام آنذاك وقعها الأكبر في العالم أجمع، فأرسلت له باقات الشكر والتقدير والاحترام والتبجيل، عرفانا بالجميل والمساهمة الفعالة التي قدمها مع الخيّرين من أتباعه، وسائر المحبّين للسلام والحب والتسامح، وكان لتصرفه الواعي أكبر الأثر في تقديم الصورة الحقيقية للإسلام النقي من نبعه الصافي، الذي ينهى اتباعه عن مقاتلة الذين لم يقاتلوهم في الدين ولم يسعوا لإخراجهم من ديارهم وأموالهم . ولا تزال أيادي الأمير البيضاء يتذكرها الخلف اليوم، ويستلهمون منها أكبر الدروس والعبر . فهو بعمله الإنساني الكبير اتجاه المسيحيين وحتى في حروبه مع الأعداء، قد سبق اتفاقية جنيف في إبراز مفهوم حقوق المستضعفين وأسرى الحروب، وإبراز مختلف الضمانات الكفيلة بضمان كرامتهم الإنسانية.

6. تعد شخصية الأمير عبد القادر الجزائري إرثا حضاريا مهما، من الضروري الاستفادة منه في شتى الجوانب، فالفكر السياسي والاقتصادي والديني والاجتماعي سيجد فيه ما يعينه على تجاوز ما يعانيه من تناقضات، وما يعترضه من صعوبات، في عالم اليوم، الذي فقد كثيرا من المقوّمات الأخلاقية، والركائز الإنسانية، التي أعطى لها الأمير كل وقته، وزهرة شبابه، في توليفة توافقية ووصفة علاجية لأمراض الأمة ومشاكلها، لا تقصي أحدا، ولا

[1]- [البقرة: 190].

[2]- [البقرة: 193].

تبخس الناس أشياءهم، تقدّس العقل، وتحترم الأديان، وتنفتح على المنجزات الحضارية، وتسعى بكل ما أوتيت من جهد وقوة إلى رقي الأمة الإسلامية في المغرب أو في المشرق .

7. كانت للتربية الطيبة الصالحة من والدي الأمير عبد القادر أكبر الأثر، في إنتاج البذرة الطيبة، التي صارت شجرة مثمرة عظيمة وارفة الظلال، تفيأ تحت ظلالها كل الجزائريين، بما ضمنه لهم بتوفيق من الله من وحدة وطنية، تؤطرها عقيدة إسلامية صحيحة توازن بين الدين والدنيا، وبين مصالح المعاش والمعاد، ومن هنا يمكن للتربويين والمعلمين والأساتذة في مختلف أطوار التعليم ومراحله الاستفادة من الإرث التربوي للأمير عبد القادر، لتنجب الجزائر، خير خلف لخير سلف، وما ذلك على الله بعزيز، إذا صدقت النوايا، واتجهت نحو العمل لصالح الأجيال المستقبلية .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

1. الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) . دار العلم للملايين.الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.
2. الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه : محمد السيد محمد علي الوزير . الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007م.
3. الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف . الأميرة بديعة الحسني الجزائري . دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر . (دون تاريخ الطبع) لكن حسب الإيداع القانوني هناك تاريخ 2008 .
4. الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره (وما بدلوا تبديلا) : الأميرة بديعة الحسني الجزائري . ترجمة : د/ أبو القاسم سعد الله . دار الوعي .، رويبة، الجزائر . 2012م .
5. الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث : د/ محمد بشير بويجرة . منشورات دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر .الطبعة الأولى 2009م .

6. بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري : د/ يحي بوعزيز . الأعمال التاريخية . طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر 2009 .
7. تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: 1346هـ) . دار المشرق – بيروت، الطبعة: الثالثة.
8. تاريخ الجزائر العام : عبد الرحمن بن محمد الجيلالي . دار الأمة . برج الكيفان، الجزائر، طبعة 2009م .
9. التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1847/1808): د. أديب حرب . دار الرائد للكتاب . الجزائر،الطبعة الثالثة 2005م .
10. ترتيب الأعلام على الأعوام (الأعلام لخير الدين الزركلي) : رتبه وعلق عليه : زهير ظاظا . فهرس كتابي : الأعلام والترتيب : محمد نزالا تميم و هيثم نزار تميم . شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (دون تاريخ) .
11. التيسير بشرح الجامع الصغير : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ). مكتبة الإمام الشافعي – الرياض .الطبعة: الثالثة، 1408هـ – 1988م.
12. حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه : محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ) . دار الجيل – بيروت، بدون طبعة.
13. حاضر العالم الإسلامي تأليف : لوثروب ستودارد المريكي . نقله إلى العربية : أ : عجاج نويهض . وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث . بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير : الأمير شكيب أرسلان . مكتبة ابن تيمية . القاهرة .
14. ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 1807 ـ 1883م . جمع تحقيق ـ شرح وتقديم : العربي دحو .منشورات تالة . الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م .
15. شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر ترجمة أشهر مؤلفات الأمير من قبل الباحث الفرنسي جوستاف دوجا : د/ عبد القادر شرشار . دار سفيان، للنشر والتوزيع، واد سوف، الجزائر، الطبعة الأولى 2014.
16. شرح سنن ابن ماجه (مجموع من 3 شروح) : 1- «مصباح الزجاجة» للسيوطي (ت 911 هـ) 2- إنجاح الحاجة» لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي (ت 1296 هـ)3- «ما يليق

من حل اللغات وشرح المشكلات» لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (1315 هـ) . قديمي كتب خانة – كراتشي .

17. طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر : الآغا بن عوده المزاري . تحقيق ودراسة : د/ يحي بوعزيز . دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى 2007م .
18. مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 تنشر لأول مرة .: تحقيق : د/ محمد الصغير بناني وآخران . أخرج أحاديث الطبعة : أ : عبد المجيد بيرم . دار الأمة، الجزائر.
19. المنطقة العربية الإسلامية مدخل إلى نقد الحاضر ومساءلة الآخر :د/ محمد العربي ولد خليفة . دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر، 2007م .
20. من لويس فيليب إلى نابليون الثالث الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا : د/ بوعلام بسّايح . تعريب : د/ خليل أحمد خليل . (أعمال د/ بوعلام بسايح) المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، رويبة الجزائر 2010م . (طبعة خاصة وزارة المجاهدين) .
21. الموسوعة العربية العالمية . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (1419هـ (1999م) . الرياض، المملكة العربية السعودية . ط2 1419 هـ(1999م) .
22. وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى : قدور بن رويلة . تقديم وتحقيق : أ : محمد بن عبد الكريم . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سبتمبر 1968 .